شواهد التشبيه في فتح الباري للعسقلاني

Evidence of Analogy in the Book of Fath Al-Bari by Al-Asqalani

كفايت الله همداني*

ثنا عائشة خان**

Abstract

Fatḥ-al-Bārī's is an explanatory book of *Ṣaḥīḥ-al-Bukhārī*, and indeed it is a valuable treasure, as it is a comprehensive book of Islamic sciences and at the same time a best book of Arabic language. So when its explain the noble *Aḥadīth*, it includes jurisprudence, language aspects, Arabic grammar, its morphology, rhetoric and it contains sermons, proverbs and all those methods which were used by the Arab writers to express and explain their purposes and the meanings of the words. Indeed these great aspects makes this book worthy and valuable which in fact received a great attention of the scholars and researchers. Especially the rhetorical aspect of this book (which in fact the largest part of this book) and that's why it got special attention. No doubt that, the revelation of *Asqalānī*'s genius influenced the understanding of Arabic rhetoric and it shows that how he rhetorically analyzed the noble *Ḥadīth* texts, explaining its *Īlal* and how it deals with the human soul, emotions, sentiments, instincts and tendencies, in a book that is considered one of the souls and the greatest book of *Ḥadīth* explanation is Fateh Al-Bari's.

Keywords: Rhetoric, Analogy, Explanation, Tendencies, *Ḥadīth*.

إن كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري يعد كنزاً من الكنوز العلمية الثمينة إذ أنه كتاب جامع شامل لعلوم اللغة العربية، فهو فضلاً عن شرحه للأحاديث الشريفة فيه الفقه، واللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة وفيه من العظات والأمثال والأساليب التي استخدمها العرب في التعبير عن أغراضهم ومعانيهم مما يجعل هذا الكتاب جديراً بأن يحضى بالاهتمام والدراسة، لا سيما أن البلاغة اخذت حيزاً واسعاً فيه. لذا اثرت الكشف عن عبقرية العسقلاني في فهمه للبلاغة العربية وكيفية تحليله البلاغي للنصوص الحديثية الشريفة، وبيان أسرارها وكيفية تعاملها مع النفس البشرية في عواطفها وأخليلتها وغرائزها ونزعاتها، في كتاب يعد من انفس وأعظم كتب شرح الحديث ذلك هو كتاب فتح الباري.

---

*رئيس قسم اللغة العربية وآدابها،الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد-

**محاضرة اللغة العربية،الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام أباد-

علم البيان عند البلاغيين:

البيان في اللغة : البيان "ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء : اتضح ، واستبان الشيء: ظهر والبيان: الفصاحة واللسن، وكلام بين: فصيح، البيان اظهار المقصود بابلغ لفظ، واصله الكشف والظهور[1] "ورجل بين: فصيح ذو بيان"[2]

والبيان :"اظهار المتكلم المراد للسامع. والبيان : النطق الفصح المعرب عما في الضمير، واظهار المعنى وايضاح ما كان مستورا قبله"[3]

وفي هذه الاقوال إشارة إلى المعنى اللغوي لكلمة "البيان" وهو الظهور ، والى المعنى الذي يقرب من المعنى الاصطلاحي البلاغي غير انه ليس واضحا ؛ لان البيان لم يكن قد استوى كمصطلح بلاغي بعد[4]

بقيت كلمة البيان تحتمل هذا المعنى العام اذ ان تقسيم البلاغة الى علوم ثلاثة لم تكن قد استقرت بعد حتى عصر السكاكي (٦٢٦هـ)[5]

وقد وردت لفظة البلاغة مرادفة لمعنى البيان كما قال ابي هلال العسكري (٣٩٥هـ) في كتابِ الصناعتين[6] فهو يتحدث عن البلاغة بمعنى البيان . وكذا فعل الرماني (٣٨٤هـ) في كتابه "النكت" وعلى الرغم من خلط الرماني في مفهوم المصطلحين الا انه عرف البيان تعريفا يظهر انه يفرق بينه وبين البلاغة، فقال : "هو الاحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره"[7]

---

[1] ابنُ منظور، **لسانُ العربِ**،(مصر:طبعة مصورة عن مطبعة بولاق،٩ مادة بين)،١: ٣٠٠

[2] الزمخشري، ابو القاسم جارُ اللهِ محمود بن عمر الزمخشري،**أساسُ البلاغ**،(مركز تحقيق التراث، مطابع الهيئة المصرية العامة،ط٣، ١٩٨٥م)،٥٨

[3] الجرجاني، **التّعريفات**، ابو الحسن علي بن محمّد بن علي الجرجاني،(الدار التونسية،١٩٧١)،٢٦

[4] مطلوب، **البلاغة عند الجاحظ**، احمد مطلوب،(الجمهورية العراقية،١٩٨٣)،٦٨

[5] ضيف، **البلاغة تطّور وتَاريخ**، شوقي ضيف،(القاهرةُ: الطبعة السادسة،دار المعارف،١٩٨٣)،١٦٠

[6] العسكري، **كتابُ الصّنَاعتين الكتابة والشعر**، لابي هلالْ بن عبد الله بن سَهل العسكري، تحقيق مفيد قمحة، (بيروت، لبنان: الطبعةُ الثانيةُ، ١٩٨٤م)، ١٣،١٧،٢١

[7] الرماني، **النكت في اعجازِ القرآن**، ابو الحسن علي بن عيسى الرماني ضمنَ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق محمد خلّف الله احمد و د. محمد زغْلول،(مصر: دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م)،١٠٦،٧٥

ونقل ابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) كلام الرماني (٣٨٦هـ) ثم قال: "والبيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله، وانما قيل ذلك لانه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان"[8]

اما عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) فقد عد الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان موضوعا واحدا، مجاله التعْبير عند فضل القائلين عَلى بعض من حيث نطقُوا وتكلّموا واخبَروا السامعين عَن الاغراضِ والمقاصدِ"[9]

هذا فضلا عن ورود كلمة "البيان" مقترنة بلفظتي الفصاحة والبلاغة حتى بدت كأنها مصطلحات ذات دلالة واحدة[10]

وما ان نصل الى القرن السابع الهجري حتى تستقر لفظه البيان عند السكاكي (٦٢٦هـ) "اذ اصبح له معناه الاصطلاحي الذي لا ينصرف الذهن الا اليه حين تذكر اللفظة"[11] وقد عرف السكاكي البيانُ بانه "معرفةً ايراد المعنَى الواحد في طرقٍ مختلفةٍ بالزّيادةِ في وضوحِ الدلالةِ عليه وبالنقصانِ"[12]

ثم جاء بعده القزويني (٧٣٩هـ) وتابعه في تعريف علم البيان وسار على دربه فعرف علم البيان بانه "علمٌ يعرفُ به إيرادُ المعنَى الواحد بطُرق مختلفةٍ في وضوحِ الدلّالةِ عليهِ"[13]

ومعنى ايراد المعنَى الواحد في طرقٍ مختلفةٍ عند البلاغيين يعني ايراده مرة بطريق التشبيه ، ومرة اخرى بطريق المجاز واخرى بطريق الاستعارة او الكناية[14]

---

[8] القيرواني، **العُمدة في محاسنِ الشعر وادابه ونقدهُ**، ابو الحسن بن رشيق القيْرواني، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد،(مصر: المكتبة التجاريّة الكبرى،الطبعة الثانية،١٩٦٣)،١: ٢٥٤

[9] الجرجاني، **دلائل الاعجاز**، عبدُ القاهر بن عبدالرّحمن بن محمّد الجرجاني أبوبكر، تحقيق، محمود محمد شاكر أبُو فهر، (مكتبةُ الخانجي، مطبعةُ المدني)،٣٤،٣٥

[10] ضيف، **البلاغة تطّور وتاريخ**، شوقي ضيف،١٦١

[11] ايضاً

[12] السكاكي، **مفتاحُ العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،تحقيق اكرمْ عثمان يوسف، ط١، ١٩٨٠م)،٥٥٥

[13] القزويني، **الايضَاحُ في علومِ البلاغةِ**،(المعانيْ، البيانُ، البديعُ)،مختصر تلخيصُ المفتاحِ، الخطيب القزويني،٢: ٢١٢

[14] السيد، **التعبيرُ البيَاني رؤيةً بلاغيةً نقديةً**، شفيع السّيد،(دارُ الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٢)،٣٢

فنون علم البيان:

نرى ان هذه الفنون ناقشها لاول في تاريخ العربية عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ھ) في كتابه "اسرار البلاغة" فهو يعد واضع علم البيان ، صحيح ان علم البيان قد ورد عند البلاغيين السابقين له الا انهم لم يحرروها ويبحثوها على نحو ما بحثها هو ، فهو ميز بين اقسامها وفروعها ، وحلل امثلتها ، فكان كتابه "اسرار البلاغة" خالصا لمباحث البيان[15]

ثم جاء السكاكي (٦٢٦ھ) وعرف علم البيان وموضوعاته عنده تنحصر في بابين رئيسين هما: "المجاز والكناية" وهو لم يهمل بحث التشبيه بل جعله من المواضيع التي اهتم بها علم البيان[16]

البيان عند العسقلاني:

لقد اشار العسقلاني الى حد البيان في تعليقه على قول ابن عمر رضي الله عنه: (جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبيﷺ: ان من البيان لسحرا)[17] اذ يقول العسقلاني: (البيان نوعان: الاول ما يبين به المراد ، والثاني تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين)[18]

ومن هنا يتضح لنا ان العسقلاني قد اشار الى معنى البيان لغة واصطلاحا فالمعنى الاول قصد به معنى الايضاح والافصاح ، وقد تناول هذا المعنى العلماء على انه المعنى اللغوي الذي تدل عليه كلمة "البيان"[19] اما المعنى الاصطلاحي فاشار اليه العسقلاني في النوع الثاني الذي ذكره اذ جعله من محسنات اللفظ التي تستميل القلوب.

وبذلك يكون العسقلاني قد قصد بالبيان في هذا الحديث اظهار المقصود بابلغ لفظ، وهو من الفهمِ وذكاء القلبِ[20] "لان معنى السحر قلب الشيء في عين الانسان وليس بقلبِ الاعيانِ. الا ترى ان البليغ يمدح انسانا حتى يصرف قلوب السامعين الى حبه ثم يذمه حتى يصرفها الى بغضه"[21]

---

[15] ضيف، **البَلاغة تطور وتَاريخ**، شوقي ضيف،١٩٠

[16] البصير، **البلاغة والتطبيق**، احمد مطلوب، وحسن البصير،(طبعة ثانية،١٩٩٩م)،٢٥٧

[17] العسقلاني، **فتحُ الباري شرحُ صحيحِ البخاري**، ابن حجر العسقلاني، حققه عبُدالعزيز بن باز ومحمّد فُؤاد عبد الباقي،(بيروت، لبنان: دارُ الكتبِ العلميّة)،٢: ٢٥٢، حديث:٥١٤٦

[18] المصدر نفسه.

[19] ينظر تعريف "البيان" لغة واصطلاحا من الرسالة نفسها.

[20] الجزري، **النهاية في غريب الحديث والاثر**، مجد الدين ابو السعادات بن الاثير ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود الطناجي،(بيروت: المكتبة العلمية)،١: ١٧٤

وقد شبه النبيﷺ البيان بالسحر ، لان السحر صرف الشيء عن حقيقته ، واشار في الحديث الى ان (الخطبة وان كانت مشروعة في النكاح فينبغي ان تكون مقتصدة ، ولا يكون فيها ما يقتضي صرف الحق الى الباطل بتحسين الكلام)[22]

وبذلك يكون العسقلاني قد شرح الحديث موضحا من خلاله معنى البيان بانه صرف الكلام من جهة الى اخرى مع تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين، وقد عد التشبيه من هذه المحسنات التي تنتمي الى اسلوب البيان وان لم يصرح بذلك.

وقد تكلم العسقلاني عن الفنون البيانية وسنحاول دراسة التسبيه في هذا البحث بالاعتماد على ما ذكره من أقوال في أثناء تعليقه على الأحاديث الشريفة.

التشبيـه:

التشبيه عند البلاغيين:

التشبيه في اللغة كما ذكر ابن منظور "الشبه والشبه والشبيه : المثل ، والجمع اشباه"[23]

وهو عند ابن فارس(٣٩٥ هـ) يدل على "تشابه المعنى وتشاكله لونا ووصفا"[24]هذه هي المعاني اللغوية التي دارت حول مفهوم التشبيه. ولعل اقدم اللغويين الذين عرفوا التشبيه المبرد(٢٨٥هـ) فقال: "ان للتشبيهِ حدًّا ، لان الاشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه فإنما ينظر الى التشبيه من اين وقع"[25]

وتابع قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ) المبرد فيما ذهب اليه وقال : "التشبيه إنما يقعُ بين شيئين بينهُما اشتراكٌ في معانٍ تعمهما ويوصفانِ بها، وافتراق في اشياء ينفردُ كلّ واحدٍ منهما عن صاحبهِ بصفتها"[26]

وعرفه الرماني (٣٨٦هـ) بانه "العقد على ان احد الشيئين يسدّ مسدّ الاخر في حسٍ او عقلٍ ولا يخلو التشبيه من أن يكونَ في القولِ او في النفسِ"[27]

---

[21] المصدر نفسه،١: ١٧٤

[22] العسقلاني، **فَتحُ الباري شرح صحيح البخاري**،ابنِ حجر العسقلاني،٩: ٢٥٢

[23] ابن منْظور،**لسان العرب**، ابن منظور مادة (شبه)،٢: ٢٦٥،٢٦٦

[24] ابن فارس، **معجمُ مقاييسِ اللّغة**، ابو الحسن احمد بنْ فارس، تحقيقْ عبد السّلام هارون،(دار الفكر،١٩٧٩م، مادة شبه)، ٣: ٢٤٣

[25] المبرد، **الكامل في اللغة**، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،(مصر:دارنهضة)،٣: ٥٢

[26] ابن جعفر،**نقدُ الشعر**، لابي الفرج قدامةَ بن جعفرٍ، تحقيق كمال مصطفى، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م،١٢٢

[27] الرماني،**النكت في اعجاز القرآن**،ابوالحسن علي بن عيسى الرماني ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن،٧٤

اما العسكري (٣٩٥ ھ) فقال هو "الوصف بان احد الموصوفين ينوبُ منَاب الاخر بأداةِ التشبيه، نابَ منابَه او لمْ يَنبْ"[28]

وعرفه ابن رشيق القيرواني(٤٥٦ھ) بانه "صفةُ الشيءِ بما قَاربه وشاكله، من جهةٍ واحدةٍ او جهات كثيرةٍ لا من جميع جهاتهِ لانه لو ناسَبه مناسبة كليةً لكان اياه"[29]

ولم يختلف تعريف ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ھ) عن السابقين فقد قال: "هو ان يقال احد الشيئين مثل الاخر في بعض المعاني والصفات"[30] ليأتي بعده عبد القاهر الجرجاني(٤٧١ھ) بمعنى قريب من هذا فقال: "هو الدلالة على مشاركةِ امرٍ لاخر في معنى ، فالامر الاول هو المشبّه، والثاني هو المشبّه به، وذلك المعنى هو وجهُ الشبه"[31]، وقد تابع ابن الاثير (٦٣٧ھ) عبد القاهر الجرجاني(٤٧١ھ) في تعريفه ، فقال : "انك اذا مثّلْت الشيءُ بالشيءِ فانما تقصدُ به اثبات الخيال في النفسِ بصورةِ المشبه بهِ، او بمعناهُ"[32]

اما السكاكي(٦٢٦ھ) فيقول: "ان التشبيه مستدعُ طرفين مشبّها ومشبّها به واشتراكا بينهما من وجهٍ وافترقا من وجه اخر مثلَ ان يشتركا في الحقيقةِ ويختلفَا في الصفةِ او بالعكسِ"[33] وتابعه القزويني(٧٣٩ھ) الّذي عرّفه بانه "الدلالةَ على مشاركةٍ امرٍ لاخَر في معنى"[34]

فجميع هذهِ التعاريفُ تشيرُ الى ان التشبيه من وسائل التصوير التي تبحث في علم البيان وانه عبارة عن العلاقة التي تربط بين شيئين الاول يطلق عليه اسم "المشبه" والثاني يطلق عليه "المشبه به" تجمعها علاقة مشابهة ويطلق على هذه العلاقة "وجه الشبه".

ويربط بين الطرفين "المشبه والمشبه به" اداة يطلق عليها "اداة التشبيه" وهذه هي الاركان الاربعة للتشبيه والتي سنتناولها بعد قليل.

---

[28] العسكري، **كتابُ الصّناعتين الكتابة والشعر**، لابي هلالْ بن عبد الله بن سهل العسكري،٢٣٩

[29] القيرواني،**الْعمدةُ في محاسنِ الشعرِ وادابه ونقدهِ**، ابو الحسن بن رَشيق القيرواني،١: ٢٨٦

[30] الخفاجي،**سرّ الفصاحة**،لابي محمّد عبد الله بن سعيد بن سَنان الخفاجي، علق عليه عبد المتعال الصعيدي، (مصر: ١٣٧٢ھ- ١٩٥٣م)،٢٩٠

[31] الجرجاني، **اسرارُ البلاَغة في علمِ البيانِ**، عبدُالقاهر الجرجاني، لمحمد رَشيد رضا،(دارُ المطبوعات العربية)،٧٨

[32] ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير، حققه احمد الحوفي وبدوي طبانة،(القاهرة: والطبعة الثانية)، لاحمد الحوفي وبدوي طبانة،(الرياض: منشورات دار الرفاعي)،١٣٠-١٣١

[33] السكاكي، **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،٥٥٨

[34] القزويني،**الايضاح في علومِ البلاغةِ** (المعاني، البيان، البديع)، مُختصَر تلخيصُ المفتاحِ،الخطيب القزويني،٢: ٢١٣

طرفا التشبيه:

هما المشبّه والمشبّه به ، فالمشبه هو اساس التشبيه وتأتي كل عناصر الصورة المكونة في التشبيه لابرازه وتوضيحه ، اما المشبه به فهو الطرف الاخر في التشبيه الذي يراد به تمثيل المشبه والصفة في المشبه به تكون اقوى منها في المشبه[35]

اداة التشبيه:

هي الركن الثالث من اركان التشبيه عرفها معظم البلاغيين القدامى والمعاصرين على انها "الكلمة التي تفيد المماثلة والمشاركة بين المشبه والمشبه به فانضوى تحتها كل ما افاد شبها"[36]

وهذه الاداة اما حرفان وهي الكاف وكأن ، واما اسماء ، واما افعال ، "وكلها تفيد قرب المشبه من المشبه به في صفته"[37] وقد قسم علماء البلاغة التشبيه باعتبار ذكر الاداة وحذفها الى قسمين[38]

١ – التشبيه المؤكّد : وهو "ما حذفت منه اداة التشبيه، ويسمى ايضًا بالتشبيه المضمر"[39]

٢ – التشبيه المرسل : وهو "ما ذكرت اداته وصار مرسلا من التأكيد"[40] ويسمى هذا التشبيه بـ "المظهر"[41]

وجه الشبه:

وهو الركن الرابع من اركان التشبيه يعرف بانه "المعنى الذي يلخصه المتكلم للجمع بين المشبه والمشبه به"[42]

---

[35] السكاكي، **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،٩٩

[36] البصير، **البلاغة والتطبيق**، احمد مطلوب؛ وحسن البصير،٢٨١-٢٨٢

[37] شعيب، **علم البيان**، ابي عبد الله شعيب، الجزائر، دار الهدى للطباعة، ١٥

[38] القزويني، **الايضاح في علوم البلاغة**(المعاني، البيان،البديع)، مختصر تلخيص المفتاح،الخطيب القزويني،٢: ٢٦٦

[39] شعيب، **علم البيان**، ابي عبد الله شعيب، الجزائر، دار الهدى للطباعة، ٢٠

[40] القزويني، **التلخيص في علوم العربية**، جلالُ الدّين محمد عبد الرحمن القزويني، تحقيقْ عبدالرّحمن البرقوقي،(بيروت، لبنان: دارالكتاب العربي)،٢٨٨٠

[41] شعيب، **علم البيان**، ابي عبد الله شعيب، الجزائر، دار الهدى للطباعة، ٢٠

[42] البلاغة فُنونها وافنانها علمُ المعاني، فضل حسن عباس،(عمان:دارُ الفرقان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م)،٣٠

وهذا المعنى المشترك بين الطرفين كما يقول ابن ناقيا البغدادي(٤٨٥هـ)[43] يختلف من تشبيه الى آخر فقد يكون "في الصورة والشكل، وقد يكون في الحركة والفعل، او في اللون او الطبع..."[44] وينقسم التشبيه بأعتبار ذكر وجهه وحذفه الى قسمين[45]

أ- المجمل: وهو ما لم يذكر وجهه ، فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل احد، حتى العامة ، ومنه ما يحتاج الى تأويل . ب- المفصل: وهو "ما ذكر فيه وجه الشبه"[46] صراحة وهذا ما يجعل العلاقة بين المشبه والمشبه به محدودة في زاوية معينة ينحصر فيها التشبيه[47]

التشبيه عند العسقلاني:

لقد اولى ابن حجر التشبيه عناية خاصة ، اذ غالبا ما يذكر طرفي التشبيه ووجه الشبه وبلاغة التشبيه في اثناء شرحه للاحاديث الشريفة التي يرد فيها هذا الفن.

وبالرغم من اهتمامه بالتشبيه الا انه لم يفرد له مبحثا خاصا كما فعل في القسم وانما كانت ملاحظاته البلاغية عن التشبيه مثبوتة في صفحات الكتاب ضمن منهجه في شرح الاحاديث.

فكان يذكر ان في الحديث تشبيها ، وكان يشير في شرحه الى اركانه ويبين اراء العلماء والشراح السابقين له في التشبيه ، والمراد من الصورة التشبيهية. وبعد ذلك كله كان يذكر رأيه في التشبيه، والغرض البلاغي الذي سيق من اجله.

١. حد التشبيه عند العسقلاني:

لقد اورد العسقلاني عدة تعاريف في اثناء التعليق على الاحاديث الشريفة ، يقول مثلا في التعليق على الحديث النبوي الشريف:(قال رسول الله ﷺ لامرأة من الانصار... ما منعك ان تحجي

---

[43] البغدادي، **الجمان في تشبيهاتِ القرآن**،ابن ناقيا البغدادي، تحقيق: احمد مطْلوب ود. خديجة الحديثي،بغداد، ١٩٦٨م،٤٣

[44] المصدر نفسه.

[45] القزويني، **الايضاحُ في علوم البلاَغة**(المعاني، البيان،البديع)،مختصر تلخيص المفتاح،الخطيب القزويني،٢: ٢٥٠

[46] المصدرُ نفسه، ٢: ٢٥١

[47] لا اريد ان اطيل باستعراض الجهود السابقة التي درست فن التشبيه فهي تحتاج الى دراسة مفصلة لا يتسع لها بحثي، وكذلك الحال في عرض اركان التشبيه وانواعه.

معنا ؟... فان عمرة في رمضان حجة)[48] قال العسقلاني: (ان الشيء يشبه بالشيء ويجعل عدله اذا شبهه في بعض المعاني لا جميعها لان العمرة لا يفض بها فرض الحج ولا النذر)[49]

وقد نقل العسقلاني تعريفا ثانيا للتشبيه من الكرماني (٧٨٦هـ) في اثناء تعليقه على الحديث النبوي الشريف الذي ذكرته ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ان الحارث سأل رسول الله ﷺ عن كيفية نزول الوحي فقالَ رسول الله ﷺ :(أحيانًا يأتيني مثلَ صلْصلة الجرسِ....)[50] اذ يقول العسقلاني: (لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها بل ولا في اخص وصف له يكفي اشتراكهما في صفة ما فالمقصود هنا بيان الجنس)[(51)]. وذكر العسقلاني تعريفا ثالثا للتشبيه في تعليقه على الحديث السابق بقوله (المحمود لا يشبه بالمذموم ، اذ حقيقة التشبيه الحاق ناقص بكامل والمشبه الوحي وهو محمود، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم للصحة النهي عنه والتغيير من مرافقه ما هو معلق فيه)[52]

وذكر تعريفا رابعا في تعليقه على الحديث الشريف: ((لا عدوى ولا صفر ولا هماة . فقالَ اعرابي : يا رسول الله، فمالا بال الابل تكون في الرملِ كأنها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها ؟ فقال رسول الله ﷺ : فمن اعدى الاول)[53] اذ يقول العسقلاني مشيرا الى تعريف التشبيه (وفيه وقوع تشبيه الشيء بالشيء اذا جمعها وصف خاص ولا تباينا في الصورة)[54]

اذا حاولنا استقراء التعريفين الاولين فسنرى انهما يدوران حول معنى واحد ، هو ان عملية التشبيه التي تقع بين طرفين هما المشبه والمشبه به لا يستلزم ان يكونا متماثلين في جميع الوجوه او المعاني،

---

[48] العسقلاني، **فتحُ الباري شرحِ صحيحِ البُخاري**،ابن حجر العسقلاني، ٣: ٧٦٨،٧٧١، حديث: ١٧٨٢

[49] المصدر نفسه.

[50] العسقلاني، **فتح الباريْ شَرح صحيحِ البخاري**، ابن حَجر العسقلاني،١: ٢٣-٢٦، حديث:٣

[51] المصدر نفسه.

[52] المصدر نفسه.

[53] المصدر نفسه، ١٠ : ٢٩٥، حديث: ٥٧٧٠

[54] العسقلاني،**فتح الباري شرح صحيح البخاري**،ابن حجر العسقلاني،١٠: ٢٩٦

لانه حينئذ سيكون تشبيه الشيء بنفسه كما يقول ابن رشيق القيرواني(٤٦٣هـ)[55] وبذلك يكون تعريف التشبيه عنده بهذا المعنى مقاربا لتعريفه عند علماء البلاغة[56]

اما التعريف الثالث فهو موجز مختصر ، وهو يعني به ان المشبه به يجب ان يكون احسن وافضل من المشبه لا العكس ، وان الحاق المشبه ، والذي يسميه "الناقص" يرجع الى كون المشبه يحتاج الى متمم آخر يظهر معناه او الصفة التي يريد الوصف بها ، وهذا المتمم هو الذي اطلق عليه "الكامل" ثم يعقد بين الاثنين مماثلة ، تجعلهما وسيلة لتوضيح الصفة واثباتها. اما التعريف الرابع فلا يتعدى معناه عن المعنى الاول الذي ذكرناه سابقا في كون التشبيه يجمع بين طرفين هما المشبه والمشبه به فيجتمعان في امور ويختلفان في امور اخرى.

٢. طرفا التشبيه عند العسقلاني:

طرفا التشبيه هما الركنان الاساسيان اللذان تدور حولهما عملية التشبيه ، ومن الطبيعي ان ينالا عناية من لدن العسقلاني فقد اشار الى الطرفين من خلال تعليقه على الحديث النبوي الشريف في قصةِ الخضر وموسى –عليهما السلام عندما قال الخضر(يا موسى، ما نقص علمي وعلمكَ من علمِ الله الا كنقرةِ هذَا العصُفورِ في الْبحرِ)[57] فقال العسقلاني : (ويكون التشبيه واقعا على الاخذ لا على المأخوذ منه واحسن منه)[58]

فاشار العسقلاني الى ركني التشبيه وهما المشبه ، الذي اطلق عليه "الاخذ" والمشبه به، الذي اطلق عليه "المأخوذ منه" واشار في موضع اخر الى المشبه به في اثناء شرح الحديث الشريف(لعن المسلم كقتله)[59] قال العسقلاني ان: (المشبه به فوق المشبه والقدر الذي اشتركا فيه بلوغ الغاية في التأثير : هذا في العرض وهذا في النفس)[60]

اذا قد جعل "المشبه به" اعلى من "المشبه" على الرغم من اشتراكهما في غاية التأثير في المتلقي. وهو بهذا يوافق البلاغيين في ان المشبه به اعلى درجة من المشبه ، وجاء العسقلاني بمعنى مقارب

---

[55] القيرواني، **العُمدةُ في محاسنِ الشعر وادابه ونقده**، ابو الحسن بن رشيق القيرواني،١: ٢٧٧

[56] السكاكي، **مفتاحُ العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،٥٦٢

[57] العسقلاني، **فَتْح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجْر العسقلاني،١: ٣٠٢،٢٩٠، حديث:١٢٢

[58] المصدر نفسه.

[59] المصدر نفسه، ١: ١٥١

[60] المصدر نفسه.

لذلك في شرح الحديث الشريف:(الطّاعمُ الشّاكر، مثلَ الصائمُ الصَابرُ)[61] اذ قال : (الاصل ان المشبّه به اعلى درجةً من المشبهِ)[62]

فجعل المشبه به هو الاصل، وهو اعلى درجة من المشبه ، وبذلك يكون قد تابع البلاغيين[63] في ان المشبه به هو الاصل ، والمشبه هو الفرع ، وذلك لان التشبيه كما اطردت العادة في البلاغة عند العرب يكون بتشبيه الادنى بالاعلى . فمن الطبيعي ان يكون المشبه به اعلى درجة من المشبه ولان العرب تتشبه بما هو افضل.

٣. اداة التشبيه عند العسقلاني:

وهي الركن الثالث في عملية التشبيه ، وبالرغم من ان لهذه الاداة معنى يؤثر في دلالة التشبيه فان العسقلاني لم يعرفها كما فعل البلاغيون وانما كان يشير الى ذكرها او حذفها ، وهو لم يفعل ذلك في جميع الاحاديث التي علق عليها وانما في بعضها.

ومن الاحاديث التي اشار فيها الى حذف الاداة قول النبيﷺ:(ما بينَ بيتي ومنْبَري روضةً من رياضِ الجنّةِ، ومنبري على حوضي)[64] قال العسقلاني : (اي كروضة من رياض الجنة .... فيكون تشبيهها بغير اداة)[65] من غير ان يشير الى ان هذا النوع من التشبيه هو تشبيه بليغ.

ومن المواضعِ التي اشار فيها الى اداة التشبيه شرحه لحديث الرسولﷺ عن الرؤيا التي رآها في منامه من انه عند الكعبة فاذا بالانبياء عليهم السلام يطوفون بالكعبة ، فقال النبيﷺ:(كاني انظر الى موسى، وكاني انظر الى يونس)[66] يقول العسقلاني:(ادخل حرف التشبيه في الرواية)[67]

٤. وجه الشبه عند العسقلاني:

وهو الركن الاخير من اركان التشبيه، ولم يكن لوجه الشبه حد عند العسقلاني ، غير انه عبر من خلال شرحه للاحاديث عنه وقصد به من خلال ذلك العلاقة التي تجمع بين المشبه والمشبه به ،

---

[61] العسقلاني، **فتحُ البَاري شرح صحيحِ البخاري**، ابن حجر العسقلاني،٩: ٧٢٧،٧٢٨

[62] المصدر نفسه.

[63] السكاكي، **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،٥٧٣

[64] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،٤: ١٢٣،١٢٥، حديث:١٨٨٨

[65] المصدر نفسه.

[66] العسقلاني، **فتحُ البَاري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،٤: ٥٩٠،٦٠١

[67] المصدر نفسه.

واشترط لهذه العلاقة ان تكون في بعض الوجوه –كما سبق وان ذكرنا في تعريف التشبيه– فهو يقول مثلا "في شرح الحديث الذي رواه مسلم عن الزمرة التي تلِج الجنّة وصورتهم على صورةِ القمرِ ليلةُ البدرِ: (يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس)[68] يقول العسقلاني مشيرا الى وجه الشبه (ووجه التشبيه ان تنفس الانسان لا كلفة عليه فيه ولا بد له منه ، فجعل تنفسهم تشبيحا ، وسببه ان قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه ومن احب شيئا اكثر من ذكره)[69]

ويقول في شرح قوله ﷺ :(تجدُونَ النّاسَ معادنْ، خيارهم في الجاهليةِ خيارهمْ في الاسلام اذا فقَهوا)[70] مبينا لوجه الشبه ومفسرا العلاقة بين الطرفين. (وجه الشبه ان المعدن لما كان اذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفا في الجاهلية فهو بالنسبة الى اهل الجاهلية راس فان اسلم استمر شرفه)[71]

انواع التشبيه عند العسقلاني:

ان العسقلاني ذكر نوع التشبيه اثناء شرحه للحديث وسوف احاول ان اذكر هذه الانواع من خلال تقسيم التشبيه الى خمسة اقسام متناولة من خلالها الاراء والمعاني البلاغية التي اوردها العسقلاني في تقسيم التشبيه وانواعه وهذه الاقسام هي:

١ – التشبيه المفرد

٢ – التشبيه البليغ

٣ – التشبيه المقلوب

٤ – التشبيه التمثيلي

٥ – التشبيه الضمني

١- التشبيه المفرد:

هو التشبيه الذي ينتج "من تشبيه شيء واحد بشيء واحد ، بان تقصد الى نفس تلك الحقيقة المجردة مع قطع النظر الى غيرها"[72] والمفرد قد يكون حقيقيا وقد يكون اعتباريا[73]

---

[68] العسقلاني، **فتح الباري شَرح صحيح البخاري**، ابنُ حَجر العسْقلاني،٦: ٣٩٢،٤٠١

[69] الْمصدر نفسه.

[70] المصْدَر نفسه، ٦: ٦٥٢،٦٥٧

[71] المصدر نَفْسَهُ.

[72] ابن الاثير، **المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير**،٢: ١٣٧

التشبيه المفرد عند العسقلاني:

لم يعرف العسقلاني التشبيه المفرد ، ولكنه يذكره في اثناء الشرح والتحليل ويفرقه عن التشبيه التمثيلي كما ذكر في شرحه لاحد الاحاديث الشريفة: (والمراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد)[74]

التمثيل والتشبيه المفرد ، ومنه ايضا قوله : (ليسَ المقصود من هذا التمثيلِ تشبيهُ المفرد بالمفردِ بل تشبيه المركب بالمركبِ، مع قطع النظر عن مطابقة المفردات من الطرفين)[75] فضلا عن ذلك فقد اشار العسقلاني الى التشبيه المفرد بقسميه المقيد وغير المقيد.

فمن التشبيه المفرد المقيد ما ورد في قول النبيﷺ لابن عمررضي الله عنه:(كُنْ في الدّنيا كأنّكَ غريبٌ أو عابر سبيلٌ)[76] اذ يقول العسقلاني: (المشبه الناسك المناسك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه ، ثم ترقى وضرب عنه الى عابر سبيل لان الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل)[77]

فنلاحظ ان المشبه في هذا النص هو "ابن عمررضي الله عنه" اما المشبه به فهما "الغريب" و"عابر السبيل" كما الح الى ذلك العسقلاني.

فالمشبه ابن عمررضي الله عنه قيده بكونه في حالة الدنيا وكذلك المشبه بهما[78] فيشبهه بالغريب في الدنيا وكذلك عابر السبيل ، ويشير العسقلاني الى الباعث على التشبيه بهما فقال: (لما كان الغريبُ قليلُ الانبساط الى النّاسِ بلْ هو مستوحشٌ منهم اذ لا يكادُ يمرُّ بمن يعرِفه مستأنس بهِ فهو ذليلٌ في نفسه خائفٌ، وكذلك عابر السبيل لا ينفذُ في سفرهِ إلّا بقوتهِ عليهِ وتخفيفه من الاثقال غير متثبت بما يمْنعه من قطعِ سفرهِ معهُ زاده وراحلته يبلغانه الى بغيتهِ من قصدهِ شبهه بهما)[79]

---

[73] الجُرجاني، **التعريفات**، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني،٢٤٠

[74] العسقلاني، **فَتْحُ الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر الْعَسْقَلاني،١٣: ٣١٨، حديث:٧٢٨١

[75] المصدر نفسه، ٦: ٥٦٥، حديث:٣٤٢٦

[76] عبد الرحيم، **التشبيه في الحديث الشريف دراسة في متن صحيح البخاري**، رسالة ماجستير قدمها سعد عبد الرحيم، باشراف د.هناء محمود شهاب، كلية الاداب- امعة الموصل،١٩٩٨م،٤٤

[77] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،١١: ٢٨٠،٢٨١، حديث:٦٤٠٥

[78] المصدر نفسه.

[79] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، ١١: ٢٨١

ثم يقول العسقلاني مشيرا الى وجه الشبه (فكمَا لا يحتاجُ المسافر الى اكثر مما يبْلغه الى غاية سفرهِ فكذلك لا يحتاجُ المؤمن في الدّنيا الى اكثر مما يبلغه المحلّ)[80]

ومن التشبيه المفرد المقيد ما ورد في قول كعب بن مالك رضي الله عنه:(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سرّ استنار وجهه حتّى كأنّه قطعة قمر، وكنّا نعرفُ ذلك منه)[81]

يبدأ النص بحديث كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك ، ويأتي بالتشبيه في سياق حديث كعب حين وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالسرور فجاء التشبيه في قوله: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر" فالمشبه وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وجاء مفردا مقيدا في حالة السرور ، اما المشبه به فهو "قطعة القمر" وجاء ايضا مفردا مقيدا ، اذ قيد التشبيه بكونه قطعة من القمر لا القمر كاملا وقد لاحظ العسقلاني ان في هذا التقييد حكمة (وسأل عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد في كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد ... وكان كعب بن مالك قائل هذا من شعراء الصحابة وحاله في ذلك مشهور ، فلابد في التقييد بذلك في حكمة ، وما قيل في ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بقوي ، لان المراد تشبيهه بما في القمر من الضياء والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها مما في القطعة المجردة)[82]

فالطرفان مفردان مقيد ان ووراء تقييد الطرفين في هذا الحديث حكمة او غرض معين، فذكر ان البلغاء كانوا لا يقيدون التشبيه بالقمر ، وان كعب بن مالك كان من الشعراء المشهورين وانه كان يعرف ذلك ، فكيف جاء بهذا التقييد في تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم وما السبب؟ وقد رد العسقلاني الرأي القائل الخوف من التشبيه بالقمر كاملا لان القمر كوكب مظلم واسود لا يوجد فيه نور . انما النور الذي فيه ما هو الا انعكاس لاشعة الشمس على سطح القمر، فخشي ان يظن المتلقي ان التشبيه بالقمر كاملا يعطي معنى السواد فاحترازا من ذلك قيد التشبيه ببعض القمر، وهو الاستنارة فقال العسقلاني ان هذه المقولة ليست من القوة بحيث يقيد بها التشبيه لان المراد تشبيهه بما في القمر من الضياء والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها اقل مما في القطعة المجردة، ثم ذكر الحكمة من التقييد

[80] المصدر نفسه، ١١: ٢٨١

[81] المصدر نفسه، ٨: ١٤٥، حديث:٤٤١٨

[82] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،٨: ١٥٤

فقال: (للاشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين وفيه يظهر السرور فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر)[83]

٢- التشبيه البليغ:

اتفق البلاغيون على ان التشبيه الذي حذفت منه الاداة ووجه الشبه ، يعد اعلى مراتب التشبيه في البلاغة واطلقوا عليه "التشبيه البليغ"[84]

ففي التشبيه البليغ يكون المشبه والمشبه به متحدين ، ليس بينهما حدود ، او فواصل، وفيه ايضا قوة المبالغة ، والاغراق في ادعاء ان الطرفين متساويان[85]

التشبيه البليغ عند العسقلاني:

لم يذكر العسقلاني تعريفا للتشبيه البليغ ، ولكنه يشير الى حذف الاداة او حذف وجه الشبه دون الاشارة الى تسميته بالبليغ ، فمثلا نجده في شرحه للحديث الشريف(السفر قطعة عذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه ، فاذا قضى نهمته[86] فليعجل الى اهله)[87] يشير الى وجه الشبه بقوله (وجه الشبه الاشتمال على المشقة)[88] ولم يشر الى حذف الاداة كما لم يشر الى نوع التشبيه.

ونلحظ ان النص قد ورد بصيغة الاخبار ، وان التشبيه ورد من خلال الجملة الخبرية "السفر قطعة من العذاب" اذ ان المشبه "السفر" جاء مبتدأ ، والمشبه به "قطعة من العذاب" جاء جملة خبرية، وان الطرفين مفردان والمشبه به مقيد ، اما اداة التشبيه ووجه الشبه فانهما محذوفان وهذا ما يسمى بالتشبيه البليغ.

ومع العلم ان سياق الحديث يوحي بوجود عدة معاني اخرى مشتركة بين الطرفين منها ان كل منهما يمنع الانسان من الراحة ، والتمتع بالطعام والشراب والنوم، والطمأنينة، ويشتمل على المتاعب، ويحتاج الى الصبر والتحمل الى غير ذلك منَ المعاني الّتي تجمع بينهما فكلّ منهما يُحملُ معاني يمكن اضفاءها على الاخر ، ونلاحظ ان المشبه والمشبه به متحدان ولا توجد بينهما حدود ولا فواصل لان

---

[83] المصدر نفسه.

[84] السكاكي، **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،٥٨٣

[85] يموت، **علم اساليب البيان**، غازي يموت،(بيروت، لبنان: الطبعة الاولى،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)،١٥٤

[86] نهمته/حاجته، **وقيل ااانه بلوغُ الهمّة والشهوةِ في الشيء**،ابن منظور، **لسانُ العرب**، ابن منظور،٣: ٧٣٣

[87] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،٣: ٧٩٤، حديث:١٨٠٤

[88] المصدر نفسه، ٢: ٢٥٩

الاداة ووجه الشبه محذوفان وهما متساويان من حيث القوة والاشتراك في صفات كثيرة وهذا يؤدي الى فسح المجال امام خيال المتلقي لتصور هذه الصفات الكثيرة ، ويجعل المعنى الطف وادق ، فعدم ظهور وجه الشبه يدفع المتلقي الى اعمال فكره ، ودفعه لمحاولة البحث عنه ، وعن العلاقة التي من الممكن ان تجمعهما ، لذا فكلما كان وجه الشبه غامضا او بعيد المنال كان التشبيه ابلغ وادق واجمل لان الشيء او تلك العلاقة اذا وجدها المتلقي بعد الطلب والبحث ، والاشتياق اليه كان موقعه في نفسه الطف واحلى واكثر تاثيرا[89]

٣- التشبيه المقلوب:

هو القلب في طرفي التشبيه[90] هو ان يجعل الاصل فرعا والمشبه مشبها به لادعاء ان المشبه اقوى واكمل واظهر في وجه الشبه من المشبّه به على سبيل المبالغةِ والادعاء"[91] وقد عرف عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) هذا التشبيه بانه : "ما يجعل الفرع اصلا والاصل فرعا"[92]

اما ابن الاثير(٦٣٧هـ) فعرفه بانه "ان يجعلَ المشبّه به مشبّها والمشبّه مشبّها به"[93] وذكر ان هذا الضرب يسمى "الطرد والعكس" فقال عنه "ان من التشبيه ضربًا يسمى الطرد والعكس، وهو ان يجعل المشبه به مشابها ، والمشبه مشبها به ، وبعضُهم يسميه غلبة الفروع على الاصول"[94]

التشبيه المقلوب عند العسقلاني:

سماه العسقلاني التشبيه المعكوس والتشبيه المقلوب ومن ذلك قوله في تعليقه على قوله:(ان من الشجر شجرةٌ لا يَسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي ... قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: وقع في نفسي انها النخلة فاستحييتُ ثم قالوا حدثنا ما هي يارسول الله قال: هي النخلة)[95] اذ يقول العسقلاني (فيه ضرب الامثال والاشباه لزيادة الافهام وتصوير المعاني .... وفيه

---

[89] القزويني،**الايضاحُ في علوم البلاغة**(المعاني،البيان،البديع)،مُختصر تلْخيص المفتاح،الخطيب القزويني،٢: ٢٥٩

[90] مطلوب، **البلاغة العربية**، احمد مطلوب،(الطبعة الاولى، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م)، ١٨٦

[91] **البلاغة التطبيقية درسه تحليله لعلم البيان**، محمد رمضان الحربي، منشورات جامعة ناصر الخمس،(الجماهيرية العربية الليبية، الطبعة الاولى، ١٩٩٧م)،١١٥

[92] الجرجاني، **أسْرُار البلاغة في علمِ البيان**، عبد القاهر الجُرجاني، ١٨٧

[93] ابن الاثير، **المثل السَّائِرُ في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير**،٢: ١٦٣

[94] المصدر نفسه.

[95] العسقلاني، **فَتح البَاري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،١: ١٩٥،١٩٣، حديث:٦١

اشارة الى ان تشبيه الشيء بالشيءِ لا يلْزم ان يكون نظيرهُ من جميع وجوهه فان المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله)[96]

معنى كلام العسقلاني ان الشيء اذا شبه بالشيء لا يجب ان يكون مساويا له من جميع الوجوه ، فان المؤمن في الحديثِ الشريف لا يشابه النخلة من جميعِ الوجوه، بل هنالك اختلاف بينهما من جهة ، ومن جهة اخرى يوجد بينهما تشابه.

وقال ايضا : (وجه التشبيه بينهما من جهة ان اصل دين المسلم ثابت ، وان ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للارواح مستطاب وانه لا يزال مستورا بدينه ، وانه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيا وميتا)[97]

بالرجوع الى نص الحديث نلاحظ ان الرسول ﷺ بدأ بالحديث عن نوع معين من الشجر فجاءت الجملة الانشائية لتخبر المتلقي بصفة المشبه قبل ان يجيء التشبيه ، ونلاحظ ان تكرار كلمة "الشجرة" في النص يعطي المعنى تأكيدا واضحا على ان المشبه في النص شيء واحد ، او شجرة واحدة تتميز عن باقي الشجر بكونها "لا يسقط ورقها" ثم اعقب ذلك بذكر الاداة والمشبه به بقوله : "وانها مثل المسلم" من غير ان يبين لهم المشبه واتبع ذلك بصيغة الاستفهام في قوله : "فحدثوني ما هي" وهنا تعلو درجة الاثارة في النص الى حد يشعر فيه المتلقي بايهام المشبه وهو يحاول معرفة العلاقة التي تجمع بين الطرفين او معنى ملائم يشبه به ، مع العلم ان هذا المعنى كان مستقرا في ذهنه حين بدأ بسؤالهم، وهذا شيء يبعث الى التشويق والنشاط لمتلقيه ، وحين لم يتوصلوا الى الجواب طلبوا الى رسول الله ﷺ الاجابة فاجاب بقوله : "هي النخلة" وهنا بدأ المتلقي بالتفكير في وجه الشبه الذي يجمع "المسلم والنخلة" او الصفات التي من الممكن ان تجعل "النخلة" تشبه "المسلم" وما هي العلاقة التي يشترك فيها الطرفان ، ولماذا جعل "النخلة" هي المشبه ، والمسلم "مشبها به" وقد اجابنا العسقلاني عن هذه العلاقة "وجه الشبه " كما ذكرنا ، وقال ما معناه ان ثبات الاصل في هذه الشجرة يشبه ثبات المسلم على دينه ، فبما ان جذور النخلة تكون شديدة المتانة وممتدة العروق والاصول في التربة ، وهي دائمة الخضرة والخير والعطاء ... فقد جعلها النبي ﷺ هي المشبه. وذلك لان هذه الشجرة مباركة معروفة عند العرب قريبة اليهم حتى يستطيعوا تصور جميع صفاتها في ذهنهم وتتلاقى في نسق واحد مع

---

[96] المصدر نفسه.

[97] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،١: ١٩٥

المشبه به "المسلم" وهنا يضفي المشبه الصفات والمعاني التي يحملها على المشبه به ليتلقي معه في وجه الشبه الذي كان يبدو غامضا بعض الشيء في المشبه به .

ولكن عندما اجاب الرسولو عن السؤال بالقول انها "النخلة" توضحت المعاني المشتركة التي تجمع بين المشبه والمشبه به.

٤- التشبيه التمثيلي:

لقد كان مفهوم التمثيل عاما عند البلاغيين والنقاد القدامى ، فقد اطلقوه على كثير من الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه[98] ومن هؤلاء قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ)[99] وابو هلال العسكري(٣٩٥هـ)[100]

وقد ظلت هذه المفاهيم تدور حول تلك المعاني الى ان جاء عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) وفرق بين التمثيل والتشبيه من جهة[101] وبين التمثيل والاستعارة من جهة اخرى[102]

وعرف التشبيه التمثيلي بانه "ماكان وجه الشبه فيه عقليا ، ومحتاج في تحصيله الى ضرب من التأويل"[103] وبهذا يكون الجرجاني(٤٧١هـ) قد جعل التمثيل نوعا من انواع التشبيه فقال: "ان التشبيه عامٌ والتمثيلَ اخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلًا"[104]

وقد نحى ابن الاثير(٦٣٧هـ) منحى اخر في تعريف التمثيل فقد جعل التمثيل هو عينه التشبيه وعدهما اصلا واحدا، وانه لا فرق بينهما[105]،اما السكاكي(٦٢٦ هـ) فقد شرط في التشبيه التمثيلي ان يكون وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقي ، وان يكون مركبا واذا لم تتوفر هذه الشروط لم يكن التشبيه تمثيليا[106] واذا جئنا الى القزويني(٧٣٩هـ) فسنرى انه يعرف التشبيه التمثيلي بانه: "ما وجهه

---

[98] شعيب، **علم البيان**، ابي عبد الله شعيب، الجزائر، دار الهدى للطباعة،١٥

[99] ابن جعفر، **نَقْدُ الشّعر**، لابي الفرج قُدامة بن جعفر،١٨١

[100] العسكري، **كتابُ الصّناعتين الكتابَةَ والشّعر**، لابي هلال بن عبد الله بن سهل العسكري،٢٦١-٢٨٢

[101] الجرجاني، **اسْرّارُ البّلاغة فيْ علمِ الْبيان**، عبد القاهر الجرجاني، ٨٦-٨٩

[102] المصدر نفسه، ٢٢٢-٢٢٧

[103] المصدر نفسه،٧٦-٧٨

[104] الجرجاني، **أسْرَارُ الْبلاغة في علم البيان**، عبد القاهر الجرجاني،٧٥

[105] ابن الاثير، **المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير**،٢: ١٢٣

[106] السكاكي، **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب السكاكي،٥٧٥

وصف منتزع من متعدد امرين او امور" اي ان التمثيل هو "تشبيه منتزع من مركب ولذلك تدخل فيه التشبيهات المركبة او تشبيه الصورة سواء كان الوجه عقليا ام حسيا"[107]

التشبيه التمثيلي عند العسقلاني:

عرف ابن حجر التمثيل من خلال شرحه للاحاديث النبوية الشريفة اذ عمد الى بيان معناه اللغوي والاصطلاحي وذلك من خلال الانتقاء من التعاريف التي سبقه العلماء اليها فاخذ بتعريف التمثيل اللغوي من الجوهري(٣٩٣هـ) صاحب الصحاح فقال في اثناء تعليقه على حديث "النخلة" السابق الذكر[108] "قال الجوهري مثله: كلمة تسوية ، كما يقال شبهه وشبيه بمعنى. قال: والمثل بالتحريك ايضا ما يضرب من الامثال"[109]

وعرف التمثيل في اثناء التعليق على قوله: (ما من الانبياء الا اعطي من الايات ما مثله أمن عليه البشر)[110] اذ يقولُ: (والمثلُ يطلق ويُراد بهِ عين الشيء وما يساويه ... وانه يقصد بكلمة مثل كما يقصد بقوله تعالى:(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ)[111] اي على صفته من البيان وعلو الطبقة من البلاغة)[112]

ومن ذلك ايضا قول العسقلاني في اثناء تعليقه على الحديث الشريف:(انما مثلي ومثلَ النّاس كمثلِ رجلٌ استوقدَ نارًا ، فلما اضاءت ما حولَه جَعل الفراش وهذهِ الدوّاب التي تقعُ في النارِ يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعهن ويغلبنّه فيقتحمن فيهَا فانا اخذ بحجزكم عن النارِ وانتم تقتحمون فيهَا)[113] مبينا ان التشبيه تمثيلي:(المراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد)[114] قصد بذلك ان طرفي التشبيه مركبان، اما وجه الشبه فهو صورة منتزعة من عدة امور.

---

[107] القزويني، **الايضاح في علوم البلاغة**(المعاني، البيان، البديع)، مُختصرْ تَلْخيص المفتاح، الخطيب القزويني،٢: ٢٤٩

[108] العسقلاني، **فَتْحُ البَاري شَرْحُ صحيح البخاري**،ابن حجر العسقلاني،١: ١٩٣، حديث:٦١، ذكر في التشبيه المقلوب.

[109] المصدر نفسه، ١: ١٩٥

[110] العسقلاني، **فتح الباري شَرح صَحيحِ البخاري**،ابن حجر العسقلاني،١: ١٩٣

[111] البقرة:٢٣

[112] العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني،٩: ٧٠٣

[113] المصْدر نفسه،١١: ٥٧١، حديث:٦٤٨٣

[114] المصدر نفسه، ٦: ٥٧٤، يُنظر المصدر نفسه،١١: ٣٨٥

اذ يقول القزويني(٧٣٩هـ) : "ان التمثيل تشبيه منتزع من متعدد امرين او امور"[115] ولكي نوضح هذه العلاقة لابد من الرجوع الى النص ، فهو يبدأ بصورة جميلة معبرة عن المعاني السامية التي اراد الرسول ﷺ ايصالها الى الانسانية فبدأ النص بقوله "مثلي ومثل الناس" فنرى ان الرسول ﷺ شبه حاله وحال الناس معه باستخدام لفظة "المثل" وقد كرر هذه اللفظة "للاشارة الى التفريق بين المثلين، وهكذا كان المشبه باجماله وتركيبه عقليا فتطلب نفس المتلقي التفضيل وادخاله في نطاق الحواس فضلا عن اندفاعها للبحث عن المقصور عليه وهو المشبه به الذي ياتي مركبا حسيا"[116] "كمثل رجل استوقد نار" فقوله "استوقد نارا" عبارة تحتمل في طياتها العديد من المعاني التي تزيد التشبيه قوة وذلك لما فيها من الطلب الملح فان استوقاد النار يكون بعد الجهد والسعي في سبيل الحصول عليها ، ووراء هذا كله دافع قوي يدفع الرجل الى استوقادها[117]

هذا وان مجيء "نارا" في هذا النص كان وراءه معنى خفي وهو الاشارة الى ان هذه النار اعدت للهداية لما يحتويها من دفء اذا فالتشبيه وقع بين "حال الناس مع الرسول ﷺ وهو يدعوهم الى الهداية" وبين "الرجل الذي استوقد نارا ليضيء الطريق فشرع الفراش بالوقوع في هذه النار" فيكون الجامع بين الطرفين ان الناس وما تزين لهم انفسهم من التمادي في الظلم والطغيان والجري وراء الملذات كالفراش الذي يدور حول هذه النار ليلهو ويلعب وهو لكثرة لهوه ولعبه يهوي ويسقط في النار ومن المعروف ان العرب يستخدمون كلمة "الفراش" في كلامهم وامثالهم اذا ارادوا التعبير عن الحماقة والتهافت ومن كلامهم "اطيش من فراشة"[118]

وانظر الى تشبيه الانسان بالفراش ، وما فيه من دقة تظهر حين تدرك ان "الفراش وهي تطير وتتهافت في السراج لضعف ابصارها... فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها الى النار ، فاذا

---

[115] القزويني، **الايْضَاحُ فيْ علوم البلاغةِ**(المعاني، البيان، البديع)، مختصر تلخيص المفتاح، الخطيب الْقزويني،٢: ٢٤٩

[116] عبد الرحيم، **التشبيه في الحديث الشريف دراسة في متن صحيح البخاري**، رسالة ماجستير قدمها سعد عبدالرحيم،١٠٢

[117] ينظر المصدر نفسه.

[118] الميداني،**مجمع الامثال**، الميداني، تحقيقْ محمد محي الدين عبد الحميد،(مطبعة السنة المحمدية،١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م)، ١: ٤٣٨

جاوزتها ورأت الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد، فتعود اليها مرة بعد مرة حتى تحترق"[119]

فال رسول صلى الله عليه وسلم شبه الانسان بالفراش لان الفراش كلما وجد نارا او ضياءا سارع الى اقتحامها لطيشه وحمقه ، وكذلك الانسان الطائش كلما وجد امامه طريقا لشهوة او معصية سارع الى ارتكابها حتى تكون سببا لهلاكه . فينتهي امره بالوصول الى نار جهنم والاحتراق بها كما احترق الفراش بالنار.

٥- التشبيه الضمني:

هو التشبيه الذي لا يُوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورةٍ من صورِ التشبيه المعروفة "إنما هو صورة يأتي عليها التشبيه وهي ليست صورة واضحة مألوفة يتأتى ادراك التشبيه منها للوهلة الاولى كما هو الشأن في التشبيهات السابقة ، بل يتخفى التشبيه في ثنايا العبارة فيفهم منها ضمنا دون النص عليه صراحة"[120]

ويسمى بالتشبيه الضمني لانه يفهم المعنى فيه من خلال المضمون وكذلك يسمى بالتشبيه المكنى لانه يكون خفيا ومستورا[121]

"ومن اوائل الذين اشاروا الى التشبيه الضمني عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) اذ جعله القسم الاول من اقسام التمثيل وهو الذي يجيء في اعقاب المعاني وهو لم يشر الى المصطلح صراحة"[122]

التشبيه الضمني عند العسقلاني:

لم يحدد العسقلاني تعريفا لهذا التشبيه ، بل انه اكتفى اثناء شرحه للاحاديث بذكر العلاقة التي تقع بين الطرفين من خلال نقله لعدد من الاراء التي ذكرها شراح الحديث الذين سبقوه ، ثم يعقب ذلك بعبارات توحي بانه قصد الى نوع هذا التشبيه لكنه لم يصرح بذلك ، كما في قوله اثناء تعليقه على الحديث النبوي الشريف: (إن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ولد لي غلامٌ اسود، فقال هل لك من إبل؟ قال: نعم: ما الوانها؟ قال: حمر، قال: هلْ فيها من اورق؟ قال: نعم قال: فانى ذلك؟

---

[119] الجاحظ، **الحيوان**، ابُو عثْمان عمرو بْن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون،(بيروت،لبنان: ط٣، ١٩٦٩م)، ٤٠٢

[120] السيد، **التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية**، شفيع السيد، ١٩٨٢، ٤١

[121] الدسبوقي، **حاشية الدسوقي على شرح السعد للدسوقي**،٤٠٩

[122] البصير، **البلاغة والتطبيق**، احمد مطلوب؛ وحسن البصير، ٣٠٨

قال: لعلّ نزعه عرق. قال: فلعلّ ابنك هذا نزعة)[123] (وفي هذا الحديث مشروعية ضرب المثل وتشبيه شيء موصوف بصفة بمثله مسلوب الصفة)[124]

وهذه العبارة توحي بان التشبيه ضمني ، لان من سماته ان يكون المشبه فيه موصوفا بصفات معينة ولا يجتمع مع المشبه به في هذه الصفات بصورة مباشرة بل يحتاج الى اعمال الفكر ، ويكون وجه الشبه بينهما محتاجا الى تأويل اذ ان المشبه يكون غامضا او مجهول الفكرة ، وان المشبه به يكون معلوما وواضحا ويعد الدليل او البرهان على وجود المشبه[125]

واذا رجعنا الى نص الحديث فسنلاحظ ان النص يدور حول حكم شرعي معين ، فاتى بتشبيه رائع يبين للرجل من خلاله الحكم ، صحيح اننا لا نلمح التركيب المعهود للتشبيه في النص لانه طوي بين عبارات النص وستر وراء هذه الصياغة فالمشبه غامض يدلنا عليه المضمون وهو "اصل الرجل او صلبه" ورد بصورة مكنية غير واضحة من خلال الاستفهام الذي ورد في كلام الرجل –اي ان المشبه جاء بصيغة الاستفهام– اما الجملة التي اعقبت الاستفهام فقد حملت في طياتها المشبه به من دون ان نلاحظ وجود اي رابط نحوي او علاقة تربط بين الطرفين فالمشبه به جاء جملة اسمية مكونة من "لعل" حرف الترجي ، واسمها وخبرها ، وبهذا يكون المشبه به هو الدليل على المشبه ، وفي قوله "نزعة عرق" دلالة واضحة تشير الى مغزى التشبيه الذي وقع بين "الاصل من النسب" وبين "عرق الشجرة" وانه شبه الشيء المجهول من حيثُ المعنى في السياقِ، بالشّيء المعلوم "عرق الشجرة" ، واما عن العلاقة التي تجمع بينهما فقد وضحها العسقلاني من خلال توضيحه لمعنى كلمة "عرق" اذ يقول : (والمراد بالعرق الاصل من النسب شبهه بعرق الشجرة ومنه قولهم : فلان عريق الاصالة اي ان اصله متناسب)[126]

فيكون المعنى الذي قصد اليه العسقلاني من التشبيه هو انه شبه نزع الولد الى والديه او الى اصله ، بنزع العرق في الشجرة الى الاصل . فوجه الشبه الذي يربط الجملتين هو الميل الى الاصل في كل منهما ، فالولد يميل في الشبه الى امه او ابيه ، وقد لا يكون مشابها لهما بل قد يميل الى الشبه باجداده فربما قد ورث البشرة السوداء او البيضاء عن احد الاجداد وبذلك يكون مشابها للشجرة التي قد تميل في الشبه الى الاصل الاول الذي بذرت منه هذه الشجرة.

---

[123] العسقلاني، **فتْح الباري شرح صحيح البخاري**، ابنُ حجر العسقلاني،٩: ١٥٤،٥٥٤، حديث:٥٣٠٥

[124] المصدر نفسه.

[125] البصير، **البلاغةُ والتطبيق**، احْمد مطلوب؛ وحسن البصير،٣٠٩

[126] العسقلاني، **فتح البَاريْ شرْح صحيحِ البُخاريْ**، ابن حَجر العَسْقلاني، ٩: ٥٥٤